**جامعة عبد الرحمان ميرة-بجاية-**

**كلية اللغات والآداب**

**قسم اللغة والأدب العربي**

**مقياس النقد العربي الحديث**

**السنة الثانية ليسانس**

**التخصص: أدب**

**المحاضرة الثالثة**

**النقد الإحيائي**

**مدخل:**

لقد شكل الاتصال بالحضارة الغربية والاستفادة من بعض منجزاتها المادية والفكرية إلى جانب الاستدعاء التراثي في سبيل الحاضر بالماضي التليد ، أهم ما ميز النهضة العربية، ويبدو أن فعل استدعاء التراث الذي هيمن على حركة النهضة العربية إنما هو في الأساس آلية دفاعية ضد ثقافة الآخر، وخوف حضاري من الذوبان والاضمحلال فنحن أمام رد فعل ثقافي من نوابغ رجال النهضة هدفه الأسمى وغايته المثلى التمسك بثوابت الهوية الثقافية و بعث مشاعر القومية العربية للوقوف في وجه سياسة التتريك العثمانية والرد على التحدي الغربي وتدارك الواقع الثقافي والاجتماعي المتقهقر ، وهو ليس غير ذي صلة بتردي الوضع اللغوي والأدبي ...هذا كله شكل تحديا كبيرا أمام النخبة الطليعية آنذاك ، فما كان منها إلا ارتياد طريق المواجهة متسلحة بسلاح التراث وتمجيد رموز الماضي وإبداعاته في مجالات القول الشعري والنثري والفكري والديني ، مرسخة بذلك الطابع المحافظ و الانكفائي للمشروع النهضوي العربي. ولن نبالغ إذا قلنا في هذا الصدد إن مدرسة الاحياء والبعث التي ظهرت في أواخر القرن التاسع العشر كرست من خلال نتاجاتها الأدبية والنقدية هذا الطابع الإصلاحي المحافظ الذي يبرز بجلاء قوة النموذج التراثي وصلابته ورسوخ معاييره وقيمه في بنية الخطاب الإحيائي.

**الإحياء النقدي: دلالة المفهوم وسؤال النشأة**

المدرسة الاحيائية أو حركة البعثـ أو الكلاسيكية الجديدة أو الاتجاه المحافظ أو الاتجاه الاتباعي...تسميات عدة علقت بالحركة الأدبية / النقدية التي ظهرت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وامتدت إلى السنوات الأولى من القرن العشرين، وقد تمثل مسعاها في العودة بالأدب العربي إبداعا إلى المستوى الذي كان عليه في عصور ازدهاره ونقدا إلى استمداد وتبني نفس المفاهيم التي أنتجت ذلك الأدب، وهذا يعني أن المشروع الاحيائي كان يرمي في مجمله إلى إعادة بعث الموروث النقدي العربي المواكب لعصور ازدهار الأدب العربي، كما يعني أن "صفة الناقد الاحيائي تطلق على الذين استمدوا من ذلك التراث مع إعادة صياغة مقولاته، وأولئك الذين اتخذوا منه موقفا معاكسا- خاصة من جانبه الإبداعي-ثم طرحوا على الساحة نماذج مستمدة من الخارج" (عبد الحكيم راضي، النقد الإحيائي وتجديد الشعر العربي، ص 30)، هكذا امتد الاهتمام الاحيائي إلى الدراسات الأدبية، فظهرت كتب يستعيد بعضها البلاغة العربية ، ويؤسس البعض الآخر لآفاق جديدة في النقد والتعبير الأدبي، ومن تلك : الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية لحسين المرصفي، وفلسفة البلاغة لجبر ضومط، وتاريخ علم الأدب عند الافرنج والعرب وفيكتور هيغو لروحي الخالدي، ومنهل الرواد في علم الانتقاد لقسطاكي الحمصي، وكتاب المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية لحمزة فتح الله وكتاب ارتياد السعر في انتقاد الشعر لمحمد سعيد ، وكتاب علم الأدب مقالات لبعض مشاهير العرب لويس شيخو، وكتاب دليل الهانم في صناعة الناثر والناظم ... والمطلع على هذه المؤلفات وغيرها مما دبجته أقلام الاحيائيين لن يجد كبير عناء في الكشف عن وجود اختلاف وتباين في الرؤى عند أصحابه . بالفعل لم يكن موقف الاحيائيين من التراث موحدا و متجانسا ولا يمكن اختزاله في خانة واحدة . وفي هذا الصدد يرى بعض الباحثين أن جهود الاحيائيين واتجاهاتهم ومواقفهم من التراث النقدي وتصوراتهم من دور مفاهيمه في تجديد الشعر، تتوزعها اتجاهات أو مواقف ثلاثة:

-الاستمداد المباشر من التراث

-إعادة صياغة للمقولات القديمة

-تنكّب التراث(تجنب التراث والإعراض عنه) واستشراف النموذج الأجنبي.

وكما هو جلي، فإن الاتجاهين الأولين يصدران عن موقف واحد، هو موقف القبول بالتراث والاعتراف به بينما ينطلق الاتجاه الأخير من تصور انتقادي للتراث يشكل ارهاصا أوليا لظهور دعوة التجديد التي رفع لواءها الرومانسيون العرب لاحقا.

والجدير بالذكر في هذا السياق ، أن العديد من الباحثين المهتمين بتتبع مسار النقد العربي الحديث منذ لحظته الاحيائية ، قد ركزوا على أصحاب الموقف الأول متخذين من بعض أعلام النقد الاحيائي وعلى رأسهم الشيخ حسين المرصفي نموذجا تمثيليا لهذه الحركة باعتباره صاحب الخطوة الجدية الأولى على تجديد النقد كما عرفه القدماء.

**معالم الرؤية الاحيائية ومقوماتها التراثية:**

إن أهم ما يميز النهج الاحيائي هو السعي الحثيث إلى استعادة الارتباط الوثيق بالتراث العربي النقدي في أزمنة ازدهاره وإشعاعه وقوته ، وذلك بالعودة إلى السمت الإنشائي التقليدي العربي واصطفاء ما جاد من أساليبه، فأعيد الاعتبار إلى فحول الشعراء، وبوجه خاص ، الثالوث المكون من البحتري وأبي تمام والمتنبي، حتى أمست مطاولة القدماء قيمة عليا وغاية منشودة(النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية ، ص99). إن الحرص على الاحتكام إلى النموذج الشعري القديم تنطلق من منطلق الاعتقاد بتفوق التراث وضرورة الصدور عنه والاستمداد المباشر منه ، يقول شكيب أرسلان( أحد أعلام الاحيائية) منوها بالبارودي ومشيدا بطول باعه في تقليد القدماء والنسج على منوالهم في الانشاء الشعري:" وعلمنا أن من المعاصرين من قدر أن يضارع الأولين وأن يسامي بنفسه أنفسهم وكنا من قبل نظن الأولين غاية لا تدرك" ذلك أن انتهاج نهج المبدعين القدماء هو غاية ما يمكن أن يصبو إليه المعاصرون من الشعراء:" أنا لا أعرف إلا مذهبا واحدا هو مذهب العرب وهو الذي يريد أن يسميه السكاكيني المذهب القديم وهو الذي يجتهد كل كاتب في العربية أن يحتذي مثاله ويقرب منه ما استطاع لأنه هو المثل الأعلى والغاية القصوى"

ليس مستغربا والحال هذه ، أن تتركز جهود الكثير من النقاد الاحيائيين على استدعاء النموذج التراثي من خلال :

* البعث الكلي للتراث البلاغي، عن طريق تحقيق المصنفات القديمة، وهذا ما كان يقوم به يومئذ التيار السلفي المحافظ في الثقافة العربية. وقدم خريجو الأزهر خدمة جليلة للثقافة العربية بتحقيق المصنفات العربية القديمة في اللغة والأدب والفكر والعلوم.
* إعادة تبويب وتصنيف المفاهيم البلاغية القديمة، وهذا ما يقوم به التيار المعياري التقليدي ، الذي أراد أن يوظف هذا في مجال التربية والتعليم.
* العمل على ما سمي: تيسير المفاهيم البلاغية، ومحاولة كسر الحدة المعيارية في هذه المفاهيم، والتصريح بأن البلاغة فن ذوقي قبل أن يكون علما معياريا

والواقع أن الاهتمام الاحيائي بالمبحث البلاغي واللغوي مرده إلى الإرادة القوية والتصميم القاطع على صيانة اللغة العربية والحفاظ عليها في صورتها الفصيحة والسليمة من اللحن والوهن، ذلك أن اللغة –كما نعلم - مقوم أساسي من مقومات الهوية العربية الإسلامية ودرع حصين يصون الأمة ويحفظ كيانها من الاندثار، في دلالة واضحة على خضوع المسعى الاحيائي لسلطة المرجع القومي أو الديني، ولذلك فكل الدعوات التي أطلقت لإصلاح الأسلوب الأدبي ، كانت مبنية على تصور مثالي يرجع إلى العصور الذهبية التي أنتجت الأسلوب السامي ، ولم تكن مبنية على تصورات ذات صلة بثقافة العصر ومقتضيات الواقع، في انعكاساتها المادية والروحية واللغوية والثقافية...

**الشيخ المرصفي وجهوده النقدية:**

تتبدى جهود المرصفي في النقد في كتبه التي خلفها، وأشهرها (رسالة الكلم الثمان) و ( دليل المسترشد في فن الانشاء) و(الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية). وقد كان لهذا الكتاب الأخير أكبر الأثر في إحياء النهج العربي القديم وترسيخ سمت الأساليب البيانية الناصعة حتى يتطبع الذوق ، وكان محمود سامي البارودي ومن نحا نحوه من الشعراء مثل شوقي وحافظ إبراهيم وغيرهما ، ممن اصطفاهم المرصفي ونوه بشعرهم معتبرا أنهم حافظوا على سمت الأساليب العربية الأصيلة. يقول المرصفي :"... فتقرر بجميع ما سبق أنه لا طريق لتعلم صناعة الانشاء إلا حفظ كلام الغير وفهمه وتمييز مقاصده. وها أنذا مستشهد على ذلك بما هو حاضر معنا في هذا العصر-هذا الأمير الجليل ،ذو الشرف الأصيل ، والطبع البالغ نقاؤه ، والذهن المتناهي ذكاؤه محمود سامي البارودي استقل بقراءة دواوين مشاهير الشعراء العرب وغيرهم حتى حفظ الكثير منها دون كلفة. واستثبت جميع معانيها ناقدا شريفها من خسيسها واقفا على صوابها وخطئها مدركا ما كان ينبغي وفق مقام الكلام وما ينبغي."

وكما هو جلي يتداخل حديثه عن الشعر والاحياء مع عرضه موقفه النقدي من الشعر والشاعرية

**-الشاعرية:**

موهبة فطرية في الأساس

تدعمها الثقافة

تنميها الدربة والمران

-**الشعر**

مستوى لغوي خاص له خصائصه المباينة لخصائص المنثور

لا يقوم بالوزن فقط ، ولا بالقواعد اللغوية والعروضية

الخيال والتصوير والصياغة الخاصة عناصر أساسية فيه

لا سبيل إلى حصر أساليب الشعراء التي تخضع لسنة التطور

إن القصيدة يجب أن تكون متماسكة

إن عبارات الأبيات يمكن أن تتصل دون أن يعاب ذلك

تتوقف قيمته على تحقيق الغاية منه انطلاقا من مبدأ وضع القول موضعه

والحاصل مما سبق أن المرصفي في حديثه عن الشعر قد اعتمد التراث معينا يستمد منه أصوله النقدية كما اعتمده معينا يستمد منه مثله الفنية في جهد إحيائي يستهدف الوصول إلى الجديد دون الاستغناء عن القديم ، لقد كان الشيخ المرصفي يبذل كل ما في وسعه ليضفي على مؤلفاته شيئا من روح العصر وثقافته. ولكن على الرغم من هذا المجهود النقدي ظلت محاولته ناقصة ، فمشروعه النقدي لا يعدو أن يكون تجميعا للمقاييس والمفاهيم والنظريات التقليدية ، المطعمة بشروحات تقليدية مبتسرة لا تتعدى حدود الشروح اللغوية وتدبيج المقاييس المعيارية لتكون بمثابة شروط جمالية، لا يمكن تجاوزها أو القفز عليها.